

## تفسير ابن كثير

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ <sup>ط</sup> وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ <sup>ط</sup> كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى <sup>ج</sup> يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ

يخبر الله تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه : أنه الذي يأذنه وأمره رفع السماوات بغير عمد ، بل يأذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعدا لا تنال ولا يدرك مداها ، فالسمااء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها ، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء ، وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام . ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت ، وبينها وبينها من البعد مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها خمسمائة عام ، ثم السماء الثالثة محيطة بالثانية ، بما فيها ، وبينها وبينها خمسمائة عام ، وسمكها خمسمائة عام ، وكذا الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، كما قال [ الله ] تعالى : ( الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ) [ الطلاق : 12 ] وفي

الحديث : " ما السماوات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض  
فلاة ، والكرسي في العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة وفي رواية : " والعرش لا يقدر  
قدره إلا الله ، عز وجل ، وجاء عن بعض السلف أن بعد ما بين العرش إلى الأرض  
مسيرة خمسين ألف سنة ، وبعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وهو من ياقوتة  
حمراء .وقوله : ( بغير عمد ترونها ) روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة :  
أنهم : قالوا : لها عمد ولكن لا ترى .وقال إياس بن معاوية : السماء على الأرض مثل  
القبعة ، يعني بلا عمد . وكذا روي عن قتادة ، وهذا هو اللائق بالسياق . والظاهر من قوله  
تعالى : ( ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ) [ الحج : 65 ] فعلى هذا يكون  
قوله : ( ترونها ) تأكيدا لنفي ذلك ، أي : هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها . هذا هو  
الأكمل في القدرة . وفي شعر أمية بن أبي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه ، كما ورد  
في الحديث ويروى لزيد بن عمرو بن نفيل ، رحمه الله ورضي عنه :وأنت الذي من فضل  
من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا فقلت له : فاذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون  
الذي كان طاغيا وقولا له : هل أنت سويت هذنبلا [ وتد حتى اطمأنت كما هيا وقولا

له : أنت رفعت هذهبلا [ عمد أرفق إذا بك بانبا ؟ وقولا له : هل أنت سويت وسطهامنيرا  
إذا ما جنك الليل هاديا وقولا له : من يرسل الشمس غدوة فيصبح ما مست من الأرض  
ضاحيا ؟ وقولا له : من ينبت الحب في الثرنفيصبح منه العشب يهتز رايا ؟ ويخرج منه  
حبه في رءوسهفني ذاك آيات لمن كان واعياوقوله : ( ثم استوى على العرش ) تقدم  
تفسير ذلك في سورة " الأعراف " وأنه يمرر كما جاء من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا  
تعطيل ، ولا تمثيل ، تعالى الله علوا كبيرا .وقوله : ( وسخر الشمس والقمر كل يجري  
لأجل مسمى ) قيل : المراد أنهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة ، كما في قوله تعالى  
: ( والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ) [ يس : 38 ] .وقيل : المراد إلى  
مستقرهما ، وهو تحت العرش مما يلي بطن الأرض من الجانب الآخر ، فإنهما وسائر  
الكواكب إذا وصلوا هنالك ، يكونون أبعد ما يكون عن العرش ؛ لأنه على الصحيح الذي  
تقوم عليه الأدلة ، قبة مما يلي العالم من هذا الوجه ، وليس بمحيط كسائر الأفلاك ؛ لأنه  
له قوائم وحملة يحملونه . ولا يتصور هذا في الفلك المستدير ، وهذا واضح لمن تدبر ما  
وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة ، والله الحمد والمنة . و ذكر الشمس والقمر ؛

لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة ، التي هي أشرف وأعظم .من الثوابت ، فإذا كان  
قد سخر هذه ، فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأخرى ، كما  
نبه بقوله تعالى : ( لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه  
تعبدون ) [ فصلت : 37 ] مع أنه قد صرح بذلك بقوله ( والشمس والقمر والنجوم  
مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ) [ الأعراف : 54 ] .وقوله :  
( يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ) أي : يوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه  
لا إله إلا هو ، وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما ابتداء خلقه .